أجرك مرتين، فإن توليتَ فإن عليك إثم الأريسيين[1]، و﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ إلى قوله: ﴿اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[2].

وعلى أساس دعوة أهل الكتاب بالجدال بالتي هي أحسن القول الحكيم، فسأتحدث عن ذلك بإذن الله – تعالى – في المباحث الآتية:

المبحث الأول: حكمة القول مع اليهود.

المبحث الثاني: حكمة القول مع النصارى.

المبحث الثالث: البراهين على إثبات الرسالة المحمدية وعمومها.

المبحث الأول: حكمة القول مع اليهود

من حكمة القول مع اليهود في دعوتهم إلى الله ﷻ أن يسلك معهم الداعية المسلم المسالك الآتية:

المسلك الأول: الأدلة العقلية والنقلية على نسخ الإسلام لجميع الشرائع.

---

(١) الأريسيين: أي إثم الفلاحين، والمعنى: فإن لم تدخل في الإسلام فإن عليك إثمك وإثمهم إذا لم يسلموا تقليداً لك. انظر: فتح الباري، ٣٩/١.

(٢) البخاري مع الفتح واللفظ له، كتاب التفسير، باب: قل يا أهل الكتاب...، ٢١٥/٨، (رقم ٤٥٥٣)، وكتاب بدء الوحي، باب حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع، ٣٢/١، (رقم ٧)، ومسلم في كتاب الجهاد، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ١٣٩٦/٣، (رقم ١٧٧٣).

المسلك الثاني: الأدلة القطعية على وقوع التحريف والتبديل في التوراة.

المسلك الثالث: إثبات اعتراف المنصفين من علماء اليهود.

المسلك الرابع: الأدلة على ثبات رسالة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام.

المسلك الأول: الأدلة العقلية والنقلية على نسخ[1] الإسلام لجميع الشرائع:

دعوة الرسل – عليهم الصلاة والسلام – إلى توحيد الله تعالى دعوة واحدة، فقد اتفقوا جميعاً على دعوة الناس إلى إفراد الله بالعبادة، لا إله إلا هو، ولا ربّ سواهُ، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ**﴾[2]، ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَاْ فَاعْبُدُونِ**﴾[3].

فأصل دين الأنبياء صلى الله عليهم وسلم واحد، وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع[4]، ولهذا قال ﷺ: «**أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات**[5]»،

---

(١) النسخ في اللغة: الإزالة، وفي الاصطلاح: رفع حكم شرعي بدليل شرعي متأخر عنه. انظر: تفسير ابن كثير، ١/١٥٠، ومناهل العرفان، ٢/٧١.

(٢) سورة النحل، الآية: ٣٦.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٤) انظر: فتح الباري، ٦/٤٨٩.

(٥) أولاد العلات: الإخوة من أب وأمهاتهم شتى. (الضرائر). فتح الباري، ٦/٤٨٩.

أمهاتهم شتى ودينهم واحد، [وليس بيني وبين عيسى نبي]»[1].

ثم ختم الله – تعالى – الشرائع كلها بشريعة محمد ﷺ، فأرسله الله إلى جميع الثقلين: من إنس وجن، ونسخت شريعته جميع الشرائع السابقة، **﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾** [2].

وقال ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي أو نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار**»[3].

والله – تعالى – حكيم عليم **﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾**[4]، ولا غرابة في أن يرفع شرع بآخر مراعاة لمصلحة العباد عن علم سابق من علام الغيوب تبارك وتعالى، ولكن اليهود والنصارى[5] أنكروا نسخ الشريعة الإسلامية لجميع الشرائع

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب قول الله – تعالى– ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ... ﴾، ٤٧٧/٦ (رقم ٣٤٤٢)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى ﷺ، ١٨٣٧/٤، (رقم ٢٣٦٥)، وما بين المعقوفين من البخاري، ٤٧٨/٦، ومسلم، ١٨٣٧/٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

(٣) مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته، ١٣٤/١، (رقم ١٥٣).

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

(٥) لتداخل أقوال النصارى مع اليهود في النسخ، فسأذكر الرد عليهم جميعاً في هذا المسلك =

السابقة[1]، فيكون الرد عليهم بالقول الحكيم كالآتي:

أولاً: الأدلة العقلية:

١ – ليس هنالك محظور في النسخ عقلاً، وكل ما لم يترتب عليه محظور كان جائزاً عقلاً، فالنسخ جائز عقلاً.

٢ – اللَّه – تعالى – يأمر بالشيء على قدر ما تقتضيه المصلحة، فقد يأمر بالشيء في وقت، وينهى عنه في وقت آخر؛ لأنه – سبحانه – أعلم بمصالح عباده، والطبيب الحكيم يأمر المريض بشرب الدواء، أو استعمال دواء خاص في بعض الأزمنة، وينهاه عنه في زمن آخر، بسبب اختلاف مصلحته عند اختلاف مزاجه، والملك الذي يُشفق على رعيته ينقلهم في بعض الأزمنة إلى نوع من السياسة غير النوع الأول، لما في ذلك من المصالح، وقد يسوس الوالد الحكيم ولده في وقت باللطف، وفي وقت آخر بالتأديب،

= – إن شاء الله تعالى –.

(١) ثم افترق اليهود والنصارى إلى ثلاث طوائف:

(أ) طائفة الشمعونية من اليهود، قالوا: النسخ ممتنع عقلاً وسمعاً، وعلى هذا القول إجماع النصارى المتأخرين.

(ب) وطائفة العنانية من اليهود، قالوا: النسخ جائز عقلاً، لكنه لم يقع سمعاً فهو ممتنع.

(ج) طائفة العيسوية من اليهود، قالوا: النسخ جائز عقلاً وواقع سمعاً، إلا أن الشريعة الإسلامية لم تنسخ ما قبلها من الشرائع، وإنما هي للعرب خاصة، وعلى هذا القول إجماع النصارى المتقدمين. انظر: مناهل العرفان للزرقاني، ١/٨٢، ٨٣.

على قدر ما يرى في ذلك من المصلحة[1]، والله ﷻ ﴿... **وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[2]، وهو سبحانه لا يفعل شيئاً إلا لحكمة بالغة، فهو يُحيي ثم يُميت ثم يُحيي، وينقل الدولة من قوم أعزّة إلى قوم أذلّة، ومن قوم أذلة إلى أعزة، ويُعطي من شاء ما شاء، ويمنع من شاء[3] ﴿**لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾[4].

٣ – يلزم من يقول بوقوع النسخ سمعاً وجوازه عقلاً أنهم ما داموا يجوزون أن يأمر الشارع عباده بأمر مؤقت ينتهي بانتهاء وقته، وقد وقع ذلك سمعاً فليجوزوا نسخ الشريعة الإسلامية للأديان السابقة[5].

ثانياً: الأدلة النقلية السمعية، وهي نوعان:

النوع الأول: ما تقوم به الحجة على منكري النسخ من اليهود والنصارى الذين لم يعترفوا برسالة محمد ﷺ.

---

(١) انظر: الداعي إلى الإسلام، لكمال الدين عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي المتوفى سنة ٥٧٧هـ، ص٣١٩، ومناهل العرفان للزرقاني، ٢/٨٣.

(٢) سورة الروم، الآية: ٢٧.

(٣) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل، ١/١٨٠.

(٤) سورة الأنبياء، الآية: ٢٣.

(٥) انظر: مناهل العرفان، ٢/٨٦.

النوع الثاني: ما تقوم به الحجة على من آمن برسالة محمد ﷺ، ولكنهم قالوا: إنها خاصة بالعرب[1].

النوع الأول: تقوم الحجة على من أنكروا نبوة محمد ﷺ مطلقاً بالأدلة الواردة في التوراة والإنجيل، والداعية المسلم إذ يُورد الأدلة من كتبهم لا يعتقد أن هذه النصوص كما أُنزلت، بل يحتمل أن تكون مما وقع عليه التحريف والتغيير؛ فإن اليهود والنصارى قد غيَّروا وبدَّلوا كثيراً من كتبهم، ولكن المسلم يقيم الحجة عليهم بما بين أيديهم من التوراة والإنجيل[2]، لا لثبوتها ولكن لإلزامهم بالتسليم، أو يعترفوا بالتحريف، ومن ذلك ما يلي:

١ – جاء في التوراة: إن الله – تعالى – أمر آدم أن يزوج بناته من

---

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، ٢٧/٧.

(٢) تنقسم أخبار اليهود والنصارى إلى ثلاثة أقسام:

(أ) ما علم صحته بنقله عن النبي ﷺ نقلاً صحيحاً أو كان له شاهد صحيح من الشرع يؤيده، فهذا القسم صحيح مقبول.

(ب) ما علم كذبه لكونه يناقض ما عرف من شريعة محمد ﷺ، أو لا يتفق مع العقل الصحيح، وهذا القسم لا يصح قبوله ولا روايته.

(ج) ما هو مسكوت عنه، وليس من النوع الأول ولا الثاني، وهذا القسم يتوقف عنه المسلم فلا يصدقه ولا يكذبه، ويجوز حكايته، لقوله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا آمنا بالله وما أنزل...»، البخاري مع الفتح، ١٧٠/٨، (رقم ٤٤٨٥)، ١١٦/١٣، وقوله ﷺ: «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج...» في البخاري مع الفتح، ٤٩٦/٦، (رقم ٣٤٦١)، وانظر: التفسير والمفسرون للذهبي، ١٧٩/١.

بنيه، وورد أنه كان يولد له في كل بطن من البطون ذكر وأنثى، فكان يزوج توأمة هذا للآخر، ويزوج توأمة الآخر لهذا، إقامة لاختلاف البطون مقام اختلاف الآباء والأمهات والأنساب، ثم حرَّم الله ذلك بإجماع المتدينين من المسلمين واليهود والنصارى[1].

٢ – جاء في السفر الأول من التوراة: إن الله – تعالى – قال لنوح عند خروجه من السفينة: «إني جعلت كل دابة مأكلاً لك ولذريتك، وأطلقت ذلك لكم كنبات العشب، ما خلا الدم فلا تأكلوه»، ثم اعترفوا بعد ذلك بأن الله حرَّم كثيراً على أصحاب الشرائع، من ذلك الخنزير في شريعة موسى، وهذا عين النسخ[2].

٣ – أمر الله إبراهيم ﷺ بذبح ولده، ثم نسخ هذا الحكم قبل العمل به، وقد أقرّ منكرو النسخ بذلك[3].

٤ – الجمع بين الأختين كان مباحاً في شريعة يعقوب ﷺ، ثم حُرِّم في شريعة موسى ﷺ[4].

٥ – أمر الله – تعالى – من عَبَدَ العجلَ من بني إسرائيل أن

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير، ١/١٥٢، ٣٨٣، ومناهل العرفان للزرقاني، ٢/٨٧، وإظهار الحق، لرحمة الله الهندي، ١/٥١٣.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ١/١٥٢، ٣٨٣، ومناهل العرفان، ٢/٨٧، وإظهار الحق، ١/٥١٥.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ١/١٥٢، ٣٨٣، ومناهل العرفان، ٢/٨٧، وإظهار الحق، ١/٣١٥.

(٤) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ١/١٨١، والداعي إلى الإسلام للأنباري، ص٣٢٤، وابن كثير، ١/١٥٢، ٣٨٣، ومناهل العرفان، ٢/٨٨، وإظهار الحق، ١/٥١٥.

يقتتلوا، ثم أمرهم برفع السيف عنهم[1].

وغير ذلك كثير.

النـــوع الثـــاني: تقوم الحجة به على من آمن بنبوة محمد ﷺ واعترف بها؛ ولكنه جعلها خاصة بالعرب دون غيرهم، فهؤلاء متى سلّموا واعترفوا برسالته ﷺ وأنه صادقٌ فيما بلغه عن الله ﷻ من الكتاب والسنة وجب عليهم الإيمان والتصديق بكل ما ثبت عنه، وما جاء به من عموم الرسالة، والنسخ الثابت بالكتاب والسنة[2]، ومن هذا النوع ما يأتي:

١ – قال تعالى: ﴿**مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ**﴾[3].

٢ – وقال تعالى: ﴿**كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ* فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا**

---

(١) ابن كثير، ١٥٢/١، ومناهل العرفان، ٨٧/٢، وانظر ذلك من القرآن في سورة البقرة، الآية: ٥٤.

(٢) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، ٣٧/١، ٣١/١-١٧٦، ودرء تعارض العقل والنقل، ٢٧/٧.

(٣) سورة البقرة، الآيتان: ١٠٦- ١٠٧.

كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١).

٣ – وقال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٢).

٤ – وقال سبحانه: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلاَّ مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (٣).

٥ – وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ (٤).

٦ – وقال جل وعلا: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (٥).

٧ – إجماع سلف الأمة على أن النسخ وقع في الشريعة

---

(١) سورة آل عمران، الآيات: ٩٣-٩٥.

(٢) سورة النساء، الآيتان: ١٦٠-١٦١.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٤٦.

(٤) سورة النحل، الآية: ١٠١.

(٥) سورة الرعد، الآيتان: ٣٨- ٣٩.

الإسلامية، كما أن النسخ وقع بها لجميع الشرائع السابقة[1].

وبهذه الأدلة العقلية والنقلية السمعية – التي دلت على جواز النسخ عقلاً ووقوعه[2] نقلاً وسمعاً – سقطت أقوال منكري النسخ وأقوال من أنكر عموم رسالة النبي ﷺ[3]، ولله الحمد والمنة.

المسلك الثاني:الأدلة القطعية على وقوع التحريف والتبديل في التوراة:

من حكمة القول في دعوة اليهود إلى الله ﷻ أن يبيَّن لهم بالجدال بالتي هي أحسن أن الكتب التي بأيديهم قد دخلها التحريف والتبديل والتغيير[4].

واليهود والنصارى يُقرّون أن التوراة كانت طول مملكة بني إسرائيل عند الكاهن الأكبر الهاروني وحده، وتقرّ اليهود أن سبعين

---

(١) تفسير البغوي، ٢٢/٣، ٨٤، ٣٢٦/١، وابن كثير، ١٥١/١، ٣٨٢، ٥٨٥، ١٨٦/٢، ٥٢٠، ٥٨٧، والشوكاني، ٣٦١/١، وإغاثة اللهفان لابن القيم، ٣٢١/٢-٣٢٨، والسعدي، ٤٠١/١، ١١٦/٤، ٢٤١، ومناهل العرفان، ٨٩/٢.

(٢) وهناك شبهات لمنكرين النسخ قد تضمن الرد عليها الأدلة السابقة، وانظر أيضاً الرد عليها في الفصل لابن حزم، ١٨١/١-٢٠٠، والداعي إلى الإسلام للأنباري، ص٣١٧-٣٤٠، ومناهل العرفان، ٩٣/٢-١٠٤.

(٣) وستأتي الأدلة القطعية على إثبات رسالة محمد ﷺ وشمولها – إن شاء الله تعالى -.

(٤) لاشك أنه يجب على كل مسلم الإيمان بكل كتاب أنزله الله، وبكل نبي أرسله، وهذا هو أصل دين المسلمين، فمن كفر بنبي واحد أو كتاب واحد فهو كافر حلال الدم عند المسلمين. انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٣٣/١، ولكن الكلام الآن هو في بيان وقوع التحريف والتبديل في التوراة.

كاهناً اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشرة حرفاً من التوراة، وذلك بعد المسيح ﷺ في عصر القياصرة الذين كانوا تحت قهرهم، ومن رضي بتبديل موضع واحد من كتاب الله فلا يؤمن من تحريف غيره.

واليهود تقر أيضاً أن السامرة حرفوا مواضع التوراة، وبدَّلوها تبديلاً ظاهراً، وزادوا ونقصُوا والسامرة تدَّعي على اليهود بأن التوراة التي بأيديهم محرّفة مبدّلة[1].

والذي يحكم بين الجميع هو كلام الله ﷻ المنزل على محمد ﷺ، المهيمن على ما سبقه من الكتب المصدِّق لها، فقد سجل التحريف وأثبته على أهل الكتاب، ونسب إليهم أنواعاً من التحريف للتوراة، كالآتي:

النوع الأول: إلباس الحق بالباطل:

كان بنو إسرائيل يخلطون الحق بالباطل، بحيث لا يتميز الحق من الباطل، وقد سجل القرآن الكريم هذا الجرم عليهم، قال سبحانه: ﴿**يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ * وَآمِنُواْ بِمَا أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلاَ تَكُونُواْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَإِيَّايَ**

(١) انظر: الفصل لابن حزم، ١/١٠٢، ١٨٧، ١٩٧، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢/١٨، وهداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم، ص٥٨١.

فَاتَّقُونِ * وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ الآية[1]، وقال سبحانه: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ الآية[2].

ومن أبلغ الصور وأقبحها في إلباس الحق ادعاء الكهنة والأحبار في التوراة التي بأيديهم أن هارون ﷺ هو الذي جمع الذهب من بني إسرائيل واشترك معهم في صناعة العجل الذهبي، ووافقهم على عبادته من دون الله – تعالى – وفي الوقت نفسه يبرئون السامري.

فهارون ﷺ الذي تحمل المشاق في سبيل إقرار فرعون بالتوحيد جعلوه داعية إلى الشرك والكفر، ولكن القرآن الكريم كان لهذه الدعوى بالمرصاد، فكذبهم، وبين حقيقة الأمر[3]، قال تعالى: ﴿فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ، فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى... ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي، قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى... ﴾ الآيات[4]، فهذا هو الصدق حقّاً، إنما عمل لهم العجل السامري، أما هارون فنهاهم ولكنهم عصوا وكادوا يقتلونه[5].

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ٤٠-٤٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧١.

(٣) انظر: الفصل لابن حزم، ٢٥٦/١، وهداية الحيارى لابن القيم، ص٥٨٢.

(٤) انظر: سورة طه، الآيات: ٨٧-٩١.

(٥) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم، ٤٥٦/١، وهداية الحيارى، ص٥٨٢.

النوع الثاني: كتمان الحق:

لاشك أن الله حق، ولا يقول إلا حقّاً، والتوراة التي أنزلت على موسى كلها حق؛ لأنها كلام الله – تعالى – ولكن بني إسرائيل كانوا يكتمون الحق، قاصدين بذلك إخضاع كتاب الله لأهوائهم وشهواتهم، فالآيات التي يرون فيها منفعة لهم عاجلة أو تكون في جانب حجتهم يقرونها، أما الآيات التي يرون أن فيها دليلاً عليهم فيكتمونها، ولهذا سجل الله عليهم هذا الكتم في كتابه، فقال سبحانه: ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[1].

ومن أعظم ما كتمه أهل الكتاب هو ما وجدوه في كتبهم من صفات محمد ﷺ، واختيار الله له رسولاً إلى الناس أجمعين، وقد كانوا يعرفونه في كتبهم كما يعرفون أبناءهم، ولكنهم إذا سُئِلُوا عن ذلك كتموه[2]، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[3]، ﴿**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءهُمُ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ**﴾[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧١، وانظر: سورة البقرة، الآية: ٤٢.

(٢) انظر: تفسير البغوي، ١/٦٧، ١٦٢، ٣١٥، وابن كثير، ١/٨٥، ٩٥، ٣٧٤.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٦.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٢٠.

وقد بيَّن ﷻ صفاته ﷺ الكاملة في التوراة والإنجيل، فقال ﷻ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[1].

ومع هذه الأوصاف العظيمة التي كانوا يعرفونها مكتوبة عندهم، أنكروا نبوته ﷺ، وكتموا ما علموه[2].

النوع الثالث: إخفاء الحق:

الإخفاء قريب من الكتمان[3]، وقد كان أهل الكتاب يخفون من أحكام التوراة الشيء الكثير، قال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ

---

(١) سورة الأعراف، الآيتان: ١٥٦- ١٥٧.

(٢) انظر الأمثلة من نصوص التوراة التي بينت صفات النبي ﷺ واضحة جلية، ولكن اليهود كتموا ذلك، في: الملل والأهواء والنحل لابن حزم ،٢٠١/١-٣٢٩، والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ٢٩٩/٣-٣٣٢، وهداية الحيارى لابن القيم، ص٥٢٢-٥٨٠، وإغاثة اللهفان لابن القيم، ٣٥١/٢-٣٦٣، وإظهار الحق لرحمة الله الهندي، ٣٣٥/١-٥٠٨.

(٣) انظر: هداية الحيارى لابن القيم، ص٥٢٤، ويمكن أن يقال الفرق بين الكتمان والإخفاء: بأن الكتمان هو ما كتموه من أوصاف النبي وأمته حقداً وكراهة، والإخفاء هو إخفاء كل ما فيه خزي لهم ومخالفة، والله أعلم. انظر: التوراة دراسة وتحليل لمحمد شلبي، ص٨٠.

﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾[1].

ومن الأحكام التي أخفاها اليهود حكم رجم الزاني المحصن، فقد جاءوا إلى النبي ﷺ برجل وامرأة قد زنيا، فقال لهم: «**كيف تفعلون بمن زنى منكم؟**». قالوا: نُحَمِّمهما ونضربهما. فقال: «**لا تجدون في التوراة الرجم؟**» فقالوا: لا نجد فيها شيئاً. فقال لهم عبد الله بن سلام: كذبتم، فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضع مدراسها الذي يدرسها منكم كفه على آية الرجم، فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها، ولا يقرأ آية الرجم، فنزع يده[2] عن آية الرجم، فقال: ما هذه؟ فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما... الحديث[3].

ولهذا قال سبحانه: ﴿**يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ**﴾ إلى قوله: ﴿**وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ**﴾[4]، وقال: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوْتُواْ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ**

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٥.

(٢) وفي رواية أخرى للبخاري: قال عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم. انظر: البخاري مع الفتح، ٢/١٦٦.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب: ﴿قُلْ فَأْتُواْ بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾، ٨/٢٢٤، (رقم ٤٥٥٦)، ١٢/١٦٦، ١٣/٥١٦.

(٤) سورة المائدة، الآيات: ٤١-٤٣.

لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [1].

فأنكر سبحانه على أهل الكتاب المتمسكين فيما يزعمون بكتابيهم: التوراة والإنجيل، وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما فيهما من طاعة الله فيما أمرهم به فيهما من اتباع محمد ﷺ تولوا وهم معرضون عنهما، وهذا في غاية ما يكون من ذمهم [2].

النوع الرابع: ليُّ اللسان:

من أنواع تحريف اليهود للتوراة: ليُّ اللسان، فهم يلوون ألسنتهم ويعطفونها بالتحريف، ليلبسوا على السامع اللفظ المنزل بغيره، ويفلتون ألسنتهم حين يقرءون كلام الله – تعالى – لإمالته عما أنزله الله عليه إلى اللفظ الذي يريدونه [3]، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [4].

ومن التحريف بليِّ اللسان ما كان يفعله اليهود مع رسول الله ﷺ بقولهم: ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ ويقصدون معنى: اسمع لا

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٢٣.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير، ١/٣٥٦، وأضواء البيان للشنقيطي، ٢/٥٧.

(٣) انظر: تفسير البغوي، ١/٣٢٠، وابن كثير، ١/٣٧٧، وهداية الحيارى، ص٥٢٤، وفتح القدير للشوكاني، ١/٣٥٤.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٧٨.

سمعت، أي: يدعون على النبي ﷺ وقد كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ راعنا، من المراعاة، والمعنى فَرِّغ سمعك لكل منا، فلما سمع اليهود هذه اللفظة اغتنموا الفرصة في التحريف، لأن معناها عندهم السبّ والطعن بمعنى: يا أحمق[1]، ولكن الله ﷻ كشف سترهم، فقال: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[2].

ونهى الله المؤمنين عن صفات اليهود فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا وَاسْمَعُواْ وَلِلكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3].

النوع الخامس: تحريف الكلام عن مواضعه:

أثبت الله ﷻ على أهل الكتاب هذا النوع من التحريف، فقال ﷻ: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ... ﴾[4]، ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن

---

(١) انظر: تفسير البغوي ،١٠٢/١، ٤٣٨، وابن كثير، ١٤٩/١، ٥٠٨، وفتح القدير للشوكاني، ١/ ١٢٤، ٤٧٤.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٦.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٤.

(٤) سورة النساء، الآية: ٤٦.

مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ... ﴾[1]، وقال ﷻ: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ... ﴾[2].

وهذا النوع من التحريف له أربع صور كالآتي:

١ - **تحريف التبديل:** وهو وضع كلمة مكان كلمة، أو جملة مكان جملة.

٢ - **تحريف بالزيادة:** ويكون بزيادة كلمة أو جملة.

٣ - **تحريف بالنقص:** وهو إسقاط كلمة، أو جملة من الكلام المنزل على موسى ﷺ.

٤ - **تحريف المعنى:** تبقى الكلمة أو الجملة كما هي، ولكنهم يجعلونها محتملة لمعنيين، ثم يختارون المعنى الذي يتّفق مع أهوائهم وأغراضهم[3].

وهذه الصور لها أمثلة كثيرة من التوراة لا يتسع المقام لذكرها[4].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٣.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٤١.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير، ١/٣٧٧، وإغاثة اللهفان لابن القيم، ٢/٣٦٠، ٣٦١، وإظهار الحق لرحمة الله الهندي، ١/٣٣٧-٥٠٨، والتوراة: دراسة وتحليل، للدكتور/ محمد شلبي شتيوي، ص٨٣.

(٤) انظر: الأمثلة على تحريف التبديل في الفصل لابن حزم، ١/٢٠٧-٢٤٤، وإغاثة اللهفان =

وقد بيَّن الله ﷻ أن أهل الكتاب يعلمون أن ما جاء به محمد ﷺ هو الحق، لما يجدونه في كتبهم من نعته ﷺ وأمته، وما شرفه الله به من الشريعة الكاملة[1]، قال سبحانه: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾[2]، ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3].

ومن رحمة الله – تعالى – بهم وكرمه أنه عندما ذكر ما فعلوه من العظائم دعاهم إلى التوبة، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ آمِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾[4]، فلو آمنوا بالله وملائكته وجميع كتبه ورسله لكفَّر عنهم

=

٣٤٢/٢-٣٤٤، وهداية الحيارى، ص٥٨٢، والمناظرة الكبرى، ص٤٦٥-٤٧٥، والأمثلة على تحريف الزيادة في: إظهار الحق، ٣٣٨/١-٣٤٧، والتوراة دراسة وتحليل، ص٩٠-٩٤، وأمثلة النقص في: إظهار الحق، ٤١٤/١-٤٥٦، والتوراة دراسة وتحليل، ٩٥-٩٨، وأمثلة التأويل في إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ٣٣١/٢، ٣٣٢، ٣٦١-٣٦٢، وهداية الحيارى، ص٥٢٦-٥٣٩.

(١) تفسير ابن كثير، ١٩٤/١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٤.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧١، وانظر: آل عمران، الآيتان: ٩٨- ٩٩.

(٤) سورة النساء، الآية: ٤٧.

سيئاتهم وأدخلهم الجنة[1]، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُواْ وَاتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[2]، ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[3].

المسلك الثالث: إثبات اعتراف المنصفين من علماء اليهود:

لاشك أن من حكمة القول مع أهل الكتاب في دعوتهم إلى الله ﷻ الاستشهاد عليهم بشهادة علماء أهل الكتاب المنصفين، الذين وفقهم الله – تعالى – وقبلوا الحق، وبيّنوه ولم يكتموه، وهذا من باب قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾[4].

وأذكر على سبيل المثال من هؤلاء العلماء الذين يعترف اليهود بأنهم كانوا منهم فأقروا بالإسلام وأنه الدين الحق ما يلي:

١ – عبد الله بن سلام رضي الله عنه وأرضاه:

لو لم يسلم من اليهود في زمن النبي ﷺ إلا سيد اليهود على الإطلاق وابن سيدهم، وعالمهم وابن عالمهم، وخيرهم وابن

---

(١) انظر: تفسير السعدي، ٣١٩/٢.

(٢) سورة المائدة، الآيتان: ٦٥– ٦٦.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٤) سورة يوسف، الآية: ٢٦.

خيرهم، باعترافهم وشهادتهم، لكان في مقابلة كل يهودي على وجه الأرض، فكيف وقد تابعه من الأحبار والرُّهبان من لا يُحصي عددهم إلا الله[1].

وقد آمن هذا الرجل بالله وبرسوله ﷺ، فعن أنس رضي الله عنه قال: بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي ﷺ المدينة فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبيٌّ، قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة، وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال رسول الله ﷺ: «**خبَّرني بهنَّ آنفاً جبريلُ**» قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله ﷺ: «**أما أول أشرط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيت كبد الحوت، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها**»، [قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله] قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بُهْتٌ، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بَهَتُوني عندك، فادعهم [فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي]، [فأرسل نبي الله ﷺ فأقبلوا]، فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله ﷺ: «**يا معشر اليهود، ويلكم اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً، وأني جئتكم بحق، فأسلِمُوا**»، قالوا: ما

(١) انظر: هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ص٥١٤، ٥٢٥.

نعلمه – قالوا للنبي ﷺ، قالها ثلاث مراراً – فقال رسول الله ﷺ: «**فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟**» قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، وأخبرنا وابن أخبرنا، [خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا]، قال: «**أفرأيتم إن أسلم؟**» قالوا: أعاذه الله من ذلك، حاشا لله ما كان ليسلم، قال: «**أفرأيتم إن أسلم؟**» قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، قال: «**أفرأيتم إن أسلم؟**» قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، قال: «**يا ابن سلام اخرج عليهم**»، [فخرج عليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله]، [معشر اليهود، اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت]، [شرُّنا وابن شرِّنا، ووقعوا فيه]، [فأخرجهم رسولُ الله ﷺ][1].

وعن عبد الله بن سلام ﷺ قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة انجفل الناس قبله، وقيل قدم رسول الله ﷺ، قدم رسول الله ﷺ، قدم رسول الله ﷺ ثلاثاً، فجئت في الناس لأنظر، فلما تبيّنت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذّاب، فكان أول شيء سمعته تكلم به

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب خلق آدم وذريته، ٦/٣٦٢، (رقم ٣٣٢٩)، ومناقب الأنصار، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، ٧/٢٥٠، (رقم ٣٩١١)، وباب حدثني حامد بن عمر، عن بشر بن المفضل ٧/٢٧٢ (رقم ٣٩٣٨)، وكتاب التفسير، سورة البقرة، باب قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾. ٨/١٦٥، (رقم ٤٤٨٠)، وألفاظ الحديث من المواضع الأربعة، وانظر: البداية والنهاية، ٣/٢١٠.

أن قال: «**يا أيها الناس، أفشُوا السلام، وأطعِمُوا الطعامَ، وصِلُوا الأرحامَ، وصلُّوا بالليلِ والناسُ نيامٌ، تدخُلُوا الجنّةَ بسلام**»[(١)].

وقد أثنى الله على هذا العالم الرباني، فعن سعد بن أبي وقاص قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي[(٢)] على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام، قال: وفيه نزلت هذه الآية[(٣)]: ﴿**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ**﴾[(٤)].

٢ - زيد بن سعنة، أحد أحبار اليهود رضي الله عنه:

قال رضي الله عنه: ما من علامات النبوة شيءٌ إلا وقد عرفتها في وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً، وقد اختبرتهما، فأشهدك يا عمر أني قد رضيت بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد

---

(١) ابن ماجه في كتاب الأطعمة، باب إطعام الطعام، ١٠٨٣/٢، (رقم ٣٢٥١) بلفظه، والترمذي في صفة القيامة، باب حدثنا محمد بن بشار، ٦٥٢/٤، (٢٤٨٥)، وأحمد في المسند، ٤٥١/٤، وانظر: صحيح ابن ماجه، ٢٢٢/٢ .

(٢) قد ثبت عنه ﷺ أنه شهد لأناس كثير بالجنة، ومنهم العشرة المبشرون بالجنة، فقيل بأن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يعني من الأحياء، لأن عبد الله بن سلام رضي الله عنه عاش بعد موتهم، ولم يتأخر معه من العشرة غير سعد وسعيد، ويؤخذ هذا من قول سعد رضي الله عنه: يمشي على الأرض. انظر: فتح الباري، ١٢٩/٧، ١٣٠ .

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب عبد الله بن سلام، ١٢٨/٧، (رقم (٣٨١٢)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عبد الله بن سلام، ١٩٣٠/٤، (رقم ٢٤٨٣).

(٤) سورة الأحقاف، الآية: ١٠ .

نبيّاً، وأشهدك أن شطر مالي – فإني أكثرها مالاً – صدقة على أمة محمد ﷺ. قال عمر: أو على بعضهم، فإنك لا تسعهم. قلت: أو على بعضهم. فخرج عمر وزيد إلى رسول الله ﷺ، فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وآمن به، وصدّقه، وبايعه، وشهد معه مشاهد كثيرة، ثم توفي في غزوة تبوك مُقبلاً غير مدبر[1]، رضي الله عنه ورحمه.

٣ – من أسلم عند الموت:

أتى رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر على رجل من اليهود ناشر التوراة يقرؤها يُعزِّي بها نفسه على ابن له في الموت كأحسن الفتيان وأجمله، فقال رسول الله ﷺ: «**أنشدك بالذي أنزل التوراة، هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي**»؟ فقال برأسه هكذا، أي: لا. فقال ابنه: إي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله. فقال: «**أقيموا اليهودي عن أخيكم**»، ثم وليَ كفنه، وحنطهُ، وصلى عليه ﷺ[2].

هذه ثلاثة أمثلة لاعترافات أحبار اليهود بأن محمداً ﷺ حقّاً،

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وعزاه إلى الطبراني، وقال: «رجاله ثقات»، ٨/٢٤٠، وتقدم تخريجه كاملاً مطولاً في مواقف النبي ﷺ الفردية، والقصة هنا مختصرة، فارجع إليها في المجمع، ٨/٢٣٩، ٢٤٠ .

(٢) أحمد في المسند، ٥/٤١١، وقال ابن كثير: هذا حديث جيد قوي، له شواهد في الصحيح عن أنس رضي الله عنه، انظر: تفسير ابن كثير، ٢/٢٥٢، ومجمع الزوائد، ٨/٢٣٤ .

وأن صفته موجودة في التوراة، ويعرفه اليهود كما يعرفون أبناءهم ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [1].

المسلك الرابع: الأدلة على إثبات رسالة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام:

من حكمة القول مع اليهود في دعوتهم إلى الله – تعالى – إثبات نبوة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وذلك بما ظهر على يديهما من المعجزات الباهرات، والآيات البينات الظاهرة التي لا يقدر أحد أن يأتي بمثلها، كالآتي:

(أ) البراهين والبينات على صدق نبوة عيسى ابن مريم ﷺ:

ثبتت نبوة عيسى ﷺ بما ظهر على يده من المعجزات الخارقة للعادات من: إحياء الموتى، وإخراجهم من قبورهم، وإبراء الأكمه، والأبرص، وخلق الطير من الطين بإذن الله، والإخبار بالغيوب، وإنزال الطعام من السماء، وولادته من أم بغير أبٍ، وكلامه في المهد[2]، وغير ذلك من المعجزات[3].

ومعجزات عيسى لم تكن دون معجزات موسى عليهما الصلاة والسلام، فكلا الرسولين اشتركا في المعجزات والآيات الظاهرة، فإن قيل: إن أحدهما قد تعلمها بحيلة، فالآخر يمكن أن يُقال ذلك

---

(١) سورة الكهف، الآية: ٢٩ .

(٢) انظر الأدلة على هذه المعجزات في آل عمران، الآية ٤٩، وسورة المائدة، الآية: ١١٠، والآيتان: ١١٤- ١١٥ .

(٣) انظر: كتاب الداعي إلى الإسلام، للأنباري ص٣٤٧، وإغاثة اللهفان لابن القيم، ٣٤٧/٢.

في حقه، وقد أخبرا جميعاً أن الله – تعالى – هو الذي أجرى ذلك على أيديهما، وأنه ليس من صنعهما، فتكذيب أحدهما وتصديق الآخر تفريق بين المتماثلين، وليس هناك دليل على أن موسى ﷺ تلقى المعجزات عن الله – تعالى – إلا وهو يدلُّ على أن عيسى ﷺ تلقاها عن الله – تعالى – فإن أمكن القدح في معجزات عيسى أمكن القدح في معجزات موسى، وإن كان ذلك باطلاً فهذا باطل أيضاً[1]، ولا شك أنه لا يمكن القدح في شيء من ذلك أبداً.

(ب) الحُججُ والبراهين على صدق نبوة محمد ﷺ:

ظهر على يده ﷺ من الآيات والمعجزات الخارقة للعادات عند التحدي أكثر من سائر الأنبياء، والعهد بهذه المعجزات قريب، وناقلوها أصدق الخلق وأبرهم، ونقلها ثابت بالتواتر قرناً بعد قرن، وأعظمها مُعجزة: القرآن، لم يتغير ولم يتبدل منه شيء، بل كأنه منزل الآن، وما أخبر به يقع كل وقت على الوجه الذي أخبر به، كأنه يُشاهده عياناً، وقد عجز الأولون والآخرون على الإتيان بمثله **﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾** [2].

ولا يمكن ليهودي أن يؤمن بنبوة موسى ﷺ إن لم يؤمن بنبوة

---

(١) انظر: إغاثة اللهفان، ٢/٣٤٧ .

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٨ .

محمد ﷺ، ولا يمكن لنصراني أن يقر بنبوة المسيح ﷺ إلا بعد إقراره بنبوة محمد ﷺ، لأن من كفر بنبوة نبي واحد فقد كفر بالأنبياء كلهم، ولم ينفعه إيمانه ببعضهم دون بعض، كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً، أُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا، وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَـئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ (١).

ولا ينفع أهل الكتاب شهادة المسلمين بنبوة موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام؛ لأن المسلمين آمنوا بهما على يد محمد ﷺ، وكان إيمانهم بهما من الإيمان بمحمد ﷺ وبما جاء به، فلولاه ما عرفنا نبوتهما، ولا سيما وليس بأيدي أهل الكتاب عن أنبيائهم ما يُوجب الإيمان بهم؛ فلولا القرآن ومحمد ﷺ ما عرفنا شيئاً من آيات الأنبياء المتقدمين، فمحمد ﷺ وكتابه هو الذي قرر نبوة موسى وعيسى، لا اليهود والنصارى، بل نفس ظهوره ومجيئه تصديقاً لنبوتهما؛ فإنهما أخبرا بظهوره، وبشّرا بظهوره: ﴿**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**﴾ (٢)، فلما بعث كان بعثه تصديقاً لهما، قال

---

(١) سورة النساء، الآيات: ١٥٠ – ١٥٢ .

(٢) سورة الصف، الآية: ٦ .

تعالى عن محمد ﷺ: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (١).

فمجيئه تصديق لهما من جهتين: من جهة إخبارهم بمجيئه ومبعثه، ومن جهة إخباره بمثل ما أخبروا به وشهادته بنبوتهم، ولو كان كاذباً لم يصدق من قبله، كما يفعل أعداء الأنبياء(٢).

ومن أعظم الأدلة على صدقه ﷺ أنه قال لليهود لما بهتوه: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٣)، ولم يجسر أحد منهم على ذلك – مع اجتماعهم على تكذيبه وعداوته – لما أخبرهم بحلول الموت بهم إن أجابوه إلى ذلك، فلولا معرفتهم بحاله في كتبهم، وصدقه فيما يخبرهم به لسألوا الله الموت لأي الفريقين أكذب، منهم أو من المسلمين على وجه المباهلة(٤)، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * وَلا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ (٥).

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٣٧ .

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل، ٧٨/٥-٨٣، ودقائق التفسير لابن تيمية، ٣٤/٣، وإغاثة اللهفان لابن القيم، ٣٥٠/٢، ٣٥١، وهداية الحيارى، ص٦٣٥ .

(٣) سورة البقرة، الآية: ٩٤ .

(٤) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، ٩٩/٧، وتفسير ابن كثير، ١٢٨/١، ١٢٩، وتفسير السعدي، ١١٤/١ .

(٥) سورة الجمعة، الآيتان: ٦- ٧ .

وغير ذلك من دلائل نبوته وصدقه[1] ﷺ، التي سأذكرها – إن شاء الله – في آخر مطلب من مطالب حكمة القول مع أهل الكتاب.

---

(١) ومن دلائل نبوته ﷺ في هذا الزمن ما نشر في صحيفة البلاد السعودية، في عددها رقم ٩٤٢٢، في ١٤١٠/٨/١٥هـ، الموافق ١٢ مارس ١٩٩٠م، ودخل في الإسلام بسبب ذلك أربع قرى نيجيرية، وهذا نص المنشور:

«لقي أحد الضالين والمستهزئين بالإسلام حتفه إثر تشكيكه في الإسلام والقرآن وإعلانه أمام جمع من الناس قائلاً: إن كان القرآن والإسلام حقاً فإني أسأل الله ألا أرجع إلى بيتي حياً.

ويشاء الله أن يلقى هذا الكافر حتفه قبل أن يعود إلى منزله فعلاً!

هذا وقد وقعت هذه الحادثة في قرية (بوب) في ولاية غونفولي بشمالي نجيريا وأسلم على إثرها أهل القرية وثلاث قرى مجاورة. ويقول شهود عيان رأوا الحادثة: إن المكذب ويدعى عمر غيمو وهو قس في كنيسة باتيسي بقرية بوب وقف خطيباً في الكنيسة وبدأ في التطاول على الإسلام والقرآن الكريم وردد العديد من الأكاذيب والأباطيل والافتراءات على الإسلام والقرآن الكريم. ثم قال في نهاية خطبته: (إن كان القرآن والدين الإسلامي حقاً فأسأل الرب ألا يرجعني إلى بيتي حياً). وخرج القس من الكنيسة وهو على ثقة تامة بأنه لن يصيبه شيء وسيصل إلى منزله في صحة وعافية، ليتخذ ذلك فيما بعد دليلاً يؤكد به للناس افتراءه وأكاذيبه. ويشاء الله ﷻ وعلى الرغم من أن الطريق إلى منزله لا توجد به أي أخطار تهدد حياة الإنسان، يشاء الله أن تتعثر قدماه وهو يعبر جدول ماء صغير وسقط فيه حتى مات وسارع إليه جماعة من المسيحيين في دهشة وذهول ونقلوه إلى المستشفى والتي رفضت استلامه لوفاته، فذهبوا به إلى مستشفى آخر وثالث وكان التأكيد أنه قد لاقى حتفه ليسقط في أيديهم لحدوث الوفاة بهذه البساطة ودون حدوث أي إصابة أو جرح. والأعجب من ذلك أن أحد المارة كان قد حاول في البداية إنقاذ هذا المستهزئ عند تعثره فلقي مصرعه... تجدر الإشارة إلى أن هذا القس كان مسيحياً، ثم أسلم، وعاش فترة بين المسلمين يتعامل معهم ويتعاملون معه إلا أنه نكص على عقبيه وارتد عن الإسلام وأصبح حرباً على دين الله إلى أن لقي مصيره المحتوم».